

## من الذي ضم الصَّوم الأربعيني إلى أسبوع البصخة؟

سؤال: قدسك ذكرت أن الدراسات الآبائية الحديثة أثبتت أن البابا أثناسيوس الرسولي هو الذي أدخل الصَّوم الكبير إلى كنيسة الإسكندرية لتصبح مدَّة الصَّوم ٤٠ يوماً بما فيها أسبوع البصخة. ولكن في زمن البابا ديمتريوس الكرام (١٨٨-٢٣٠م) الذي يسبق البابا أثناسيوس الرسولي هو الذي ضمَّ الصَّوم الأربعيني المقدَّس إلى أسبوع الفصح. فهل معنى هذا أن البابا أثناسيوس الرسولي قام بتغيير هذا النِّظام؟

إنَّ ما يقوله ابن كبر عن أنَّ ضمَّ أسبوع الفصح (البصخة) إلى الصَّوم المقدَّس الكبير، قد حدث في أيام البابا ديمتريوس الكرام (١٨٩-٢٣١م)، وهو ما انتقل إلى كتبنا الطَّقسية، هو أمرٌ يعوزه الدليل، إذ لا تسنده الوثائق المعروفة لدينا حتى الآن. فيوسابيوس القيصري (٢٦٠-٣٤٠م) عندما تحدَّث عن النَّزاع الذي وقع بين الكنائس بسبب تحديد يوم عيد الفصح<sup>(١)</sup>، لم يشر إلى البابا ديمتريوس الكرام في هذا الشَّأن<sup>(٢)</sup>. كما أنَّ البابا الإسكندري ديونيسيوس الكبير (٢٤٨-٢٦٥م) لم يكن يعرف سوى صوم ستَّة أيام الفصح<sup>(٣)</sup>. ومن جهة أخرى، ليست هناك وثيقة تتكلَّم عن الصَّوم المقدَّس الكبير قبل القرن الرَّابع الميلادي<sup>(٤)</sup>.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فمن المعروف لدينا وثائقياً أنَّ انضمام أسبوع الفصح إلى الأربعين المقدَّسة قد عُرف في كنيسة الإسكندرية في زمن البابا أثناسيوس الرسولي (٣٢٨-٣٧٣م)، وهو ما تشرحه رسائله الفصحية التي كتبها ما بين سنة ٣٢٩م وسنة ٣٧٣م، أي منذ إقامته بطريركاً سنة ٣٢٨م إلى يوم نياحته في ٢ مايو سنة ٣٧٣م. وهو ما سأشرحه في السُّطور التَّالية.

### إثبات أنَّ ضمَّ الصَّوم الأربعيني إلى صوم أسبوع الفصح (البصخة) قد حَدَثَ في أيام البابا أثناسيوس الرسولي (٣٢٨-٣٧٣م)

يَتَّضح من معظم الرِّسائل الفصحية للبابا أثناسيوس الرسولي<sup>(٥)</sup> أنَّ يوم الجمعة العظيمة كان هو ختام الأربعين المقدَّسة،

١ - شرحتُ هذا الأمر بالتفصيل في كتاب "عيد قيامة المسيح مخلصنا". ولكن يلزم هنا معرفة أنَّ مشكلة تحديد يوم عيد الفصح (القيامة)، في هذا الوقت، كانت مشكلة لا علاقة لها بصوم الأربعين المقدَّسة.

٢ - يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٢٣:٥-٢٥) ص ٢٧٥-٢٨٠. ولكن ينبغي ألا نغفل أنَّ هناك إشارة هامة في هذا الأمر بخصوص تقليد كنيسة الإسكندرية القديم في الاحتفال بعيد الفصح في يوم الأحد تحديداً، وليس في أيِّ يوم آخر، وردت في رسالة لأساقفة من كنائس فلسطين، وصور، وبتولمايس، يقولون فيها: "... ونعرفكم بأنهم في الإسكندرية يحفظونه (أي يوم عيد الفصح) في نفس اليوم مثلاً. لأنَّ الرِّسائل قد حُمِلت منَّا إليهم، ومنهم إلينا، حتى أننا نحفظ اليوم المقدَّس بنفس الطَّريقة، وفي نفس الوقت".

يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٢٥:٥) ص ٢٨٠. وينبغي لنا أن نفرِّق تفريقاً واضحاً بين مشكلتين؛ الأولى هي تحديد يوم عيد الفصح، والثانية هي ضمَّ الأربعين المقدَّسة إلى أسبوع الفصح (البصخة).

وبخصوص المشكلة الأولى، يتكلَّم يوسابيوس القيصري، فيقول: "ولهذا السَّبب عقدت الجماع واجتمع الأساقفة، واتفق الكلُّ برأي واحد، بعد تبادل الرِّسائل، على إصدار أمر كنسي بأنَّ سرَّ قيامة الرَّبِّ يجب أن لا يُحتفل به في أيِّ يوم آخر سوى يوم الرَّبِّ، وإننا يجب أن نختم الصَّوم الفصحي في هذا اليوم فقط".

يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٢:٢٣:٥) ص ٢٧٦. وعن هذا الصَّوم الفصحي - وليس الصَّوم الأربعيني - يقول القديس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م): "لأنَّ النَّزاع ليس محصوراً في اليوم فقط، بل يتعلق أيضاً بطريقتي الصَّوم. فالبعض يظنُّون أنَّهم يجب أن يصوموا يوماً واحداً، وغيرهم يومين، وغيرهم أكثر. والبعض يحسبون يومهم أربعين ساعة تارةً وليلةً".

يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (١٢:٢٤:٥) ص ٢٧٨.

3. Cf. Annick Martin, *op. cit.*, p. 162.

4. Fernand Cabrol (Le premier dom) & Henri Leclercq (R.P. dom), *Dictionnaire d'archéologie chrétienne et de liturgie (DACL)*, tome 2, Paris, 1925, p. 2141.

5. Cf. *NPNF.*, Series 2, vol. 4, p. 509 ff.

حيث ظلت الأربعين المقدّسة حتى منتصف القرن الخامس الميلادي على الأقل، تشمل فيها أسبوع الفصح (البصخة).

ففي الرسالة الفصحية الأولى للبابا أناسيوس الرسولي والتي كتبها سنة ٣٢٩م لم يذكر فيها صوم الأربعين المقدّسة، بل يتحدث عن صوم أسبوع الفصح (البصخة) فقط، بدون إبداء أيّ سبب لعدم ذكره لصوم الأربعين يوماً المقدّسة.

أمّا في رسالته الفصحية الرابعة والتي كتبها سنة ٣٣٢م، فهو لم يذكر فيها أيضاً صوم الأربعين المقدّسة، بل يتحدث عن صوم أسبوع الفصح (البصخة) فقط، ولكنّه في هذه الرسالة يعلّل في مستهلّها السبب في ذلك، بقوله: إنه قد كتبها متأخّرة، بعد أن بدأ الصّوم الأربعيني.

فماذا نفهم إذاً من تعليل البابا أناسيوس لسبب تأخّره عن إعلان موعد بدء الصّوم المقدّس الكبير في رسالته الفصحية الرابعة سنة ٣٣٢م، وعدم ذكره لأيّ شيء من هذا القبيل، حينما أعلن بدء صوم أسبوع الفصح في رسالته الفصحية الأولى سنة ٣٢٩م؟ نفهم أنّ صوم الأربعين يوماً المقدّسة لم يكن وارداً في رسالته الفصحية الأولى.

أمّا رسالته الفصحية الثانية التي كتبها سنة ٣٣٠م فيظهر فيها بوضوح، ولأوّل مرّة، ذكر الصّوم الأربعيني المقدّس.

وطبقاً لهذه الرسالة الثانية، فإنّ الصّوم الكبير يبدأ يوم ٩ مارس، ويكون يوم اثنين البصخة هو يوم ١٣ إبريل، ويوم سبت الثور يوافق يوم ١٨ إبريل، فيكون يوم ١٧ إبريل هو يوم الجمعة العظيمة وهو تتمّة الأربعين يوماً.

وفي الرسالة الفصحية الثالثة التي كتبها سنة ٣٣١م يؤكّد البابا أناسيوس على أنّ الصّوم في مجموع أيامه هو ٤١ يوماً، شاملاً فيه أسبوع الفصح.

وهكذا في باقي رسائله الفصحية نجد أنّ الصّوم المقدّس الكبير يمتد إلى واحد وأربعين يوماً، شاملاً فيه صوم أسبوع الفصح المقدّس. وأنّ يوم الجمعة العظيمة (أي الجمعة السادسة من الصّوم) هو ختام الأربعين المقدّسة، وليس يوم الجمعة ختام الصّوم، كما هو معروف الآن. أي أنّ أيام الصّوم الفعلية – باستثناء السبوت والآحاد – منذ أيام البابا أناسيوس الرسولي هي ٣٦ يوماً بعد أن نضيف صوم يوم سبت الفرح. وهو ما ظلّ سارياً في كنيسة الإسكندرية حتى إلى نهاية فترة رئاسة البابا كيرلس الكبير (٤١٢-٤٤٤م) كما يتّضح من رسائله الفصحية.

ولقد عرفت كنيسة روما هذا النّظام عينه، أي صوم سنّة أسابيع، وذلك بعد منتصف القرن الرابع الميلادي<sup>(٦)</sup>. ولا يخفى تأثير البابا أناسيوس الرسولي على طقس كنيسة روما عندما زارها إبّان فترة الصّراع مع الأريوسية. ويرى البابا غريغوريوس الكبير (+٦٠٤م) أنّ فترة صوم الـ ٣٦ يوماً<sup>(٧)</sup> هي بمثابة العشر التي تُقدّم لله عوضاً عن أيام السنّة كلّها.

وهكذا يتّضح لنا من القراءة العادية غير المتخصصة للرسائل الفصحية للبابا أناسيوس الرسولي، أنّ أوّل شهادة وثائقية واضحة عن الصّوم الأربعيني في كنيسة الإسكندرية، هي الرسالة الفصحية الثانية للبابا أناسيوس الرسولي سنة ٣٣٠م<sup>(٨)</sup>.

ولكن ما هي أحدث الدّراسات التي قام بها العلماء للرسائل الفصحية للبابا أناسيوس الرسولي، لكي يُثبتوا من خلالها، أنّ ضمّ الصّوم الأربعيني إلى أسبوع البصخة المقدّسة، قد حدث في زمن البابا أناسيوس الرسولي، وبالتحديد في سنة ٣٣٤م، وليس في سنة ٣٣٠م، كما لاحظنا من قبل؟ هذا ما تجده قارئ العزيز في السطور التالية.

٦- وهو ما سبق أن ذكرته في الفصل السابق مباشرة.

٧- أي صوم سنّة أسابيع باستثناء الآحاد فقط، لأنّ طقس كنيسة روما كان يصوم يوم السبت من كلّ أسبوع.

٨- هذا ما يقول به كثير من العلماء، مثل العالم الفرنسي كوكان R.G. Coquin إلا أنّ المؤرّخة الفرنسية المدققة أنيك مارتا Annick Martin نقلاً عن علماء آخرين، تقول بأنّ أوّل ذكر للصّوم الأربعيني كان في الرسالة الفصحية السادسة له سنة ٣٣٤م.

Cf. Annick Martin, *op. cit.*, p. 162.

وسواء عُرف الصّوم الأربعيني في كنيسة الإسكندرية في زمن البابا أناسيوس الرسولي أو قبله، فمن الثابت أنّه هو الذي فنّنه فيها.

Cf. Annick Martin, *op. cit.*, p. 166.

لقد وصلنا البعض فقط من رسائله الفصحية في ترجمة سريانية، وقد حُفظت لنا في مخطوط فريد، وجده العالم تمام Tatam سنة ١٨٤٢م بدير السيّدة العذراء السريانية بواحي النّطرون، وهي الرسائل المنشورة في مجموعة آباء نيقية وما بعد نيقية<sup>(٩)</sup> NPNF. والبعض الآخر من رسائله وصلنا في ترجمة قبطية صعيدية في عدّة شذرات من مخطوطات قبطية، ربّما نشرها العالم لوفور Lefort سنة ١٩٥٥م<sup>(١٠)</sup>.

وأما الدّراسات المتأنيّة لعلماء الآبائيّات، ولاسيّما العلماء الألمان، قد توصّلت إلى تعديل تواريخ البعض من هذه الرسائل، وأنّ الرسائل الخمسة الأولى، لا تذكر تاريخ بدء الصّوم الأربعيني، باستثناء الرّسالتين (٢، ٣)؛ وأنّ الرسائل الثّالثة ابتداءً من السّادسة، تذكر جميعها الصّوم الأربعيني باستثناء الرّسالتين (١٤، ٢٤). وهناك عدّة عوامل قد حادت بالعلماء إلى تبديل مكان الرّسالة رقم (٢) مع مكان الرّسالة رقم (٢٤)، وتبديل مكان الرّسالة رقم (٣) مع مكان الرّسالة رقم (١٤).

والعالم ديفوس Devos قد درس أسلوب الرسائل الخمسة الأولى بعد إجراء التّعديل المقترح - أي الرسائل أرقام (١، ٢٤، ١٤، ٤، ٥) فوجد أنّها تشترك جميعاً في أسلوب متقارب، وتحتوي فيما بينها عناصر مشتركة أكثر من سائر الرسائل الفصحية الأخرى، ممّا يُرّجح أنّها كتبت في فترة متقاربة<sup>(١١)</sup>.

وأما الدّليل الدّامغ الذي أكّد صحّة توقّعات هؤلاء العلماء، هو أنّ البابا الإسكندري تيموثاوس الثّاني (٤٥٥-٤٧٧م)، الذي عاش بعد زمن القديس أثناسيوس الرّسولي بأقل من مائة عام، كان قد استشهد بأجزاء من الرّسالة رقم (٢٤) قائلاً إنه يستشهد بالرّسالة الفصحية الثّانية للقديس أثناسيوس، المكتوبة في سنة ٤٦ لديوقلديانوس (أي سنة ٤٦ للشهداء، وهي السنّة التي تقابل سنة ٣٣٠م)<sup>(١٢)</sup>. كما استشهد أيضاً بأجزاء من الرّسالة رقم (١٤) قائلاً إنه يستشهد بما ورد في الرّسالة الفصحية رقم (٣) لأثناسيوس.

وبهذا الدّليل الأخير، يتأكّد لنا بلا أيّ شك، أنّ ما عُرف حتى الآن بالرّسالة الفصحية رقم (٢٤)، والرّسالة الفصحية رقم (١٤)، هما في الحقيقة الرّسالتان رقم (٢)، ورقم (٣) على التّرتيب، للسنتين ٣٣٠ و٣٣١م. وبالتالي تكون الرسائل الفصحية الخمسة الأولى (من سنة ٣٢٩م إلى سنة ٣٣٣م) خالية من ذكر موعد بدء الصّوم الأربعيني المقدّس، بينما تكون جميع الرسائل الفصحية اللاحقة المتوفّرة لدينا، ابتداءً من الرّسالة السّادسة، أي من سنة ٣٣٤م، تُعلن - بالإضافة إلى موعد عيد الفصح - موعد بدء الصّوم الأربعيني المقدّس<sup>(١٣)</sup>.

وعلى ذلك، يكون البابا أثناسيوس الرّسولي هو الذي ضمّ الصّوم الأربعيني المقدّس إلى أسبوع البصحة المقدّسة، في سنة ٣٣٤م.

9. NPNF, 2<sup>nd</sup> Ser., Vol. 4, pp. 506-553.

10. L. Th. Lefort, S. Athanase, *Lettres Festales et Pastorales en copte*, CSCO., 150 (1955), p. 1-72 (textus) ; CSCO., 151 (1955), p. 1-54 (translatio), Louvain, 1955.

11. P. Devos, *Les cinq premières Lettres Festales de saint Athanase d'Alexandrie*, in *Analecta Bollandiana* 110 (1992), p. 5-20. ١٢- يمكن قراءة نصّ استشهد البابا تيموثاوس الثّاني بهذه الرّسالة، في حاشية من كتاب العالم لوفور Lefort المذكور في ( CSCO., 151, p. 9, ) وهذا النصّ وارد أصلاً في رسالة للبابا تيموثاوس الثّاني بعنوان: "ضدّ القائلين بالطبيعتين"، وقد حُفظت بالأرمينية وقد نشرها العالمان: (n. 64).

K. Ter-Mekertschian - E. Ter-Minassiantz, *Timotheus Aelurus' des Patriarchen von Alexandrien, Widerlegung der auf der Synode zu Chalcedon festgesetzten Lehre, Armenischer Text*, Leipzig, 1908.

١٣- ويعود الفضل في جمع هذه المعلومات المتناثرة في عدّة مراجع، للعالم الإيطالي كومبلاي Camplani الذي كتب كتابين عن الرسائل الفصحية للقديس أثناسيوس:

A. Camplani, *Le Lettere festali di Atanasio di Alessandria*, Roma, 1989; Id., *Atanasio di Alessandria, Lettere festali; Anonimo, Indice delle Lettere festali*, Milano, Paoline, 2003.